

شعرية الألم

في قصص نوافذ موجعة لفاكيا صباحي

Pain noodles

in the stories of the painful windows by Fakia Sabahi

د. فتيحة غزالي¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

ghazalif@yahoo.com

تاريخ الوصول 2021/05/12 القبول 2021/11/13 النشر على الخط 2022/05/10

Received 12/05/2021 Accepted 13/11/2021 Published online 10/05/2022

ملخص:

تحاول هذه الدراسة البحثية الموسومة بـ "شعرية الألم في قصص نوافذ موجعة" لفاكيا صباحي، تتبع تيمة الألم وبيان حضورها في المتن القصصي وامتدادها الشعري من خلال لغة الكاتبة التي جنحت إلى الرمز والحكي الشعري، وينتقل البحث لدراسة ظاهرة الألم عبر تحليلاتها في المتون القصصية المختارة وربط تلك الظاهرة بأسبابها ومبرراتها سواء أكانت ذاتية أم موضوعية على لسان شخصياتها التي تعكس صورة المثقف المهزوم وكيف يتكيف أو لا يتكيف مع واقعه نفسيا واجتماعيا وثقافيا.

الكلمات المفتاحية: شعرية الألم؛ فاكيا صباحي؛ تيمة الألم.

Abstract:

This study entitled: «The Poetic Suffering in Painful Windows of Narrations» of Fakya Sabahi, tried to pursue the suffering topic and display its presence in the narrative shape and its poetic extension throughout the language of the author; who used the symbol and poetics storytelling. The research shifted to the study of the suffering phenomenon through its appearances in the narrative chosen stories and link it with its reasons and justifications, either being subjective or objective by its personalities that reflected the defeated intellectual's picture and how he adapted or not with his reality in a psychological, social and cultural manner.

Keywords: lattice pain; Fakia Sabahi; Theme of pain.

تمهيد:

يتفنن بعض المبدعين في مجال القصة القصيرة في المزاوجة بين الكتابة السردية والكتابة الشعرية، فيجيدون تكثيف العبارة بالرموز الدلالية التي تعبر تفصيلا عميقا عن القضايا الجوهرية التي تؤطر المحيط الإنساني الذي يحقّقهم، فتصبح الكتابة الإبداعية حينئذ عالما من الكلام الذي لا يقبل النهاية، وتزداد كثافة الكائن الشعري في النص السردى كلما لامس المبدع وجع الذات وتماهى في ألم الآخر، وكتب ذلك بدمه سردا شعريا مشكلا نماذج إبداعية راقية تراهن على أن الآلام العظيمة لا تشكل إلا أعمالا أدبية عظيمة، وفي هذا السياق السردى المدون بلغة الشعر وجمال الحرف الأسر تطل الشاعرة الأدبية فاكية صباحي^(*) بمجموعتها القصصية نوافذ موجهة⁽¹⁾ بلبوس شعري فضفاض يخترق عوالم الإنسان ويتماهى في كينونتها المطلقة لتشكّل عبر لغة الألم والوجع عالما القصصي الخاص الذي يسع الناس جميعا، ويثّ الأمل عبر تلك النوافذ التي استنزفت جراح الواقع ومآسي المكالمين، لتصنع منها شكلا فنيا لا يعترف بالحدود والأجناس، فكيف تشكل جسد المحكي القصير عند فاكية صباحي؟ وما هي حدوده وأدواته ومنطلقاته؟ وهل أسعفتها المسالك السردية لإرخاء سدول شعرية الألم وبلوغ المعنى؟

1/ ألم الكتابة وكتابة الألم:

ورد في لسان العرب لابن منظور أن الألم بمعنى الوجع وجمعها آلام، والألم المؤلم هو الموجه والعذاب الأليم الذي يبلغ إجماعه غاية البلوغ، ويقال ما أخذ أليمه وألما وهو الوجع.⁽²⁾ وغالبا ما يرتبط الوجع بالجسد فيما ينصرف الألم ليدل على الجانب الخفي للإنسان (النفس) فهو شعور نفسي وليس جسدي يكشف مدى الأذى الذي يسيطر على الإنسان ويحول حياته إلى معاناة ذهنية وعذاب روحي يصعب التحكم فيه في بعض الحالات القاسية، وقد يؤثر فيما بعد على بعض الجوانب الحياتية النفسية والاجتماعية، ولا يوجد كائن على وجه الأرض لم يتعرض بشكل أو بآخر لأحد مظاهر الألم، غير أنّ المبدع وحده من ينقل تفاصيل الألم ويوح به عبر تجربة الكتابة الفنية السردية منها والشعرية.

أما الكتابة فترتبط بمعنى الانفتاح الكلي والضروري على الحياة الإنسانية التي تكشف عبرها الذات الكاتبة تماهيا في الجمال والجسد والألم والموت والمطلق... وغيرها.

والكاتب لا يكون كاتباً إلا حينما ينصت لنداءات اللغة التي تسكن تلك الأغوار وتتشرب ألما وشعريتها، إنها اللغة الشاعرة التي تجعل الكاتب مبدعا حقا في تلك اللحظة التي يقيم فيها داخل هذه اللغة فلا يتكلم الإنسان إلا بوصفه مستجيبا لنداء اللغة، أن

(*) فاكية صباحي شاعرة وقاصة وفنانة تشكيلية درست الحقوق واحترفت الفن التشكيلي، صدر لها سنة 2013 الجزء الأول من المجموعة القصصية نوافذ موجهة، كما صدر لها سنة 2016 ديوان شعري بعنوان: نزيه على مقصلة الصمت، تحصلت على الجائزة الأولى للشعر الفصيح بنص نزيه على مقصلة الصمت (الأوديسا) سنة 2011، كما فاز نصها القصصي: وهب أعاصير الندم بالجائزة الأولى سنة 2016 بولاية بسكرة، ولها أيضا مجموعة من الكتب المخطوطة قيد الطبع في النقد والقصة والمسرح والشعر.

(1) _ فاكية صباحي: نوافذ موجهة، ط 1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين فرع بسكرة، الجزائر، 2013.

(2) _ ابن منظور: لسان العرب، مج 1، مادة ألم، دار صادر بيروت، ص 114.

يستجيب يعني أن يكون دائما منصتا، ولا يتحقق الإنصات إلا في الحالة التي يتحقق الانتماء إلى مجال سيادة الصمت، تلك ليست نظرة جديدة للغة وإنما هي محاولة لمعرفة الإقامة داخل القول الأصيل للغة.⁽¹⁾

إنّ اللغة في تجربة الكتابة ليست مجرد تعبير فني ينقل ما يلتقي الإنسان من فرح أو ما يرتبط به من صخور ومآس ووجع، إنها كائن جوهري حين تكتب أسئلتها وهواجسها وهمومها بنفسها، والمبدع حين يعبر عن تجربة الألم ليس بالضرورة أن يقدم تجربته الخاصة بمعزل عن تجارب الآخرين، وإنما هو يذوب في تفاصيل حياة الإنسان وأوجاعه ويشكل منها فلسفة خاصة تصنع إنسانية الإنسان وتحول الوجع والألم إلى أدب وفن.⁽²⁾

ويصف هيدغر هذه التجربة بقوله: "أن نمارس تجربة مع شيء أو كائن إنساني أو أي شيء آخر يعني أن نتركه يأتي إلينا لكي يمسننا ويهوي علينا ويقبلنا ويغيرنا، ولا نعني في العبارة السابقة أننا نحن الفاعلون المتحكمون في التجربة "أن نمارس" يعني المعاشية والمعاناة والمكابدة من البداية إلى النهاية وقبول ما يلحقنا بخضوعنا له."⁽³⁾

لا غرو إذن في سلطة الألم على تجربة الكتابة، فالألم هو من يحرك الإبداع وليس الألم ما يصنع ألما ويحركه، وما يبدو لنا أثناء قراءتنا لتجربة الكتابة من حمولات نفسية وفيوضات شعرية مثقلة بالوجع والألم إنما هي نتيجة القراءة التي لا تلقي بظلال أسئلتها على فعل الكتابة بقدر ما تعني بكشف تلك التساؤلات، إن القراءة كتجربة تسير في اتجاه أسئلة اللغة الشعرية ومعنى هذا أن اللغة هي البداية الجذرية لكل قراءة⁽⁴⁾.

2/ الكتابة بالألم ولذة البوح السري:

كثيرا ما كانت لغة الخطاب الشعري هي الأكثر إغواء وقدرة على احتواء الهم الإنساني وترجمة طقوسه التي تخلدها كثافة العبارة وعمق رموزها ودلالاتها، وقد ظلت هذه الفكرة مسيطرة على الخطاب الإبداعي زمنا ليس بقصير، خضع فيه وجع البوح الأدبي لسلطة الشعر، حتى ظهر جيل من المبدعين المعاصرين مزقوا هذا الميثاق وجمعوا ما طاب لهم من فنون وأشكال أدبية وغير أدبية في جنس واحد فتح العوالم السردية والشعرية على مصراعها وطعمها بما يليق ولغتها التي تكتبها والأغوار الدلالية التي تنشدها، وهذا أول ما نصادفه في قصص فاكية صباحي من خلال عنوانها المغربي الذي يمكنه أن ينبير لنا عتبة الموضوع المدروس قبل الولوج إلى أغواره.

2-1 منطق العنوان وسلطة الوجد:

يتحرك عنوان المجموعة القصصية "نوافذ موجهة" في محيط سلطة الوجد والألم فيحيل قارئه في أول لقاء بصري به إلى تلك الدلالات المشفرة بمعنى المكابدة والمجاهدة لفئة المكرويين والمهمشين في عالم إنساني أقل ما يقال عنه أنه تخلى عن الإنسانية منذ زمن، وما العنوان إلا مرآة مصغرة لنسيج النص حيث تتوحد لغة القارئ بلغة الكاتب ويتعانق فيها العاشق (القارئ) بالمعشوق (اللغة) ليرضي غروره المعرفي ويقدم تأويلات تتناسب ومدى فهمه للرموز والإشارات التي توحد النص (العنوان) بمضمونه.

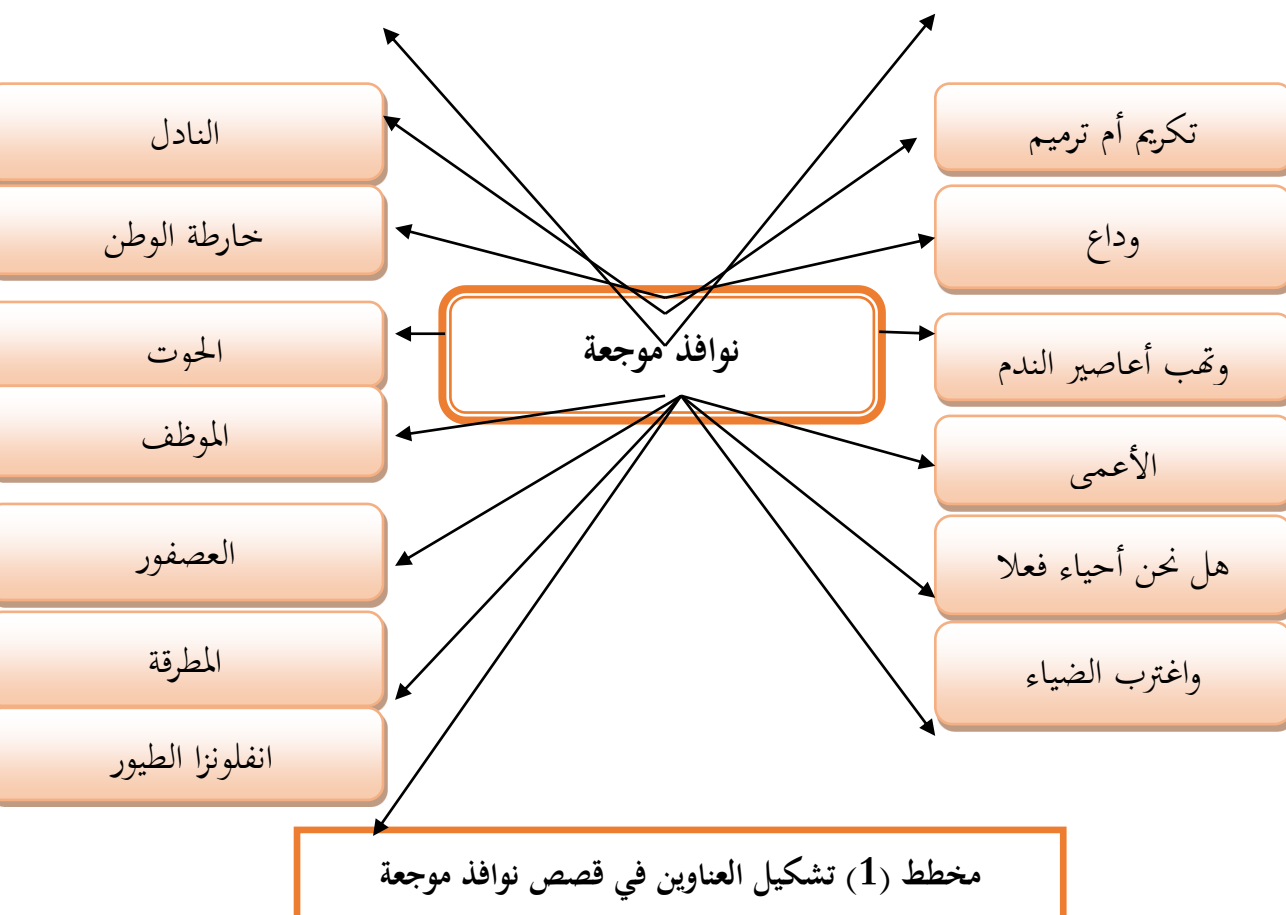
(1) - عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية (الحب، الإنصات، الحكاية) دط، المغرب 2006، ص 252.

(2) - أحمد سيف الدين: ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، ع 10، مجلد 37، 2015، ص 102.

(3) - عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية، ص 255.

(4) - عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية، ص 255.

وتبوح البنية الدلالية للعنوان الرئيس بمدى تفاعلها مع بقية العناوين الجزئية لقصص المجموعة، فكل عنوان يحكي ألما ما يتقاطع وباقي العناوين التي تتصارع حيناً وتتصالح أحياناً لنسج الدلالة الكلية للنص، وهذا ما يؤكد أنّ منطق العنونة عند فاكية صباحي قد خضع لوعي الآلية المنتجة للعنوان بمستوياته الرئيس، الفرعي، الثانوي⁽¹⁾ ويمكن اختزال تلك العلاقة في المخطط الآتي:



تنهض قصص نوافذ موجعة كما هو مبين في المخطط في تشكيل عتبتها العنوانية على مبدأ التجميع والتفكيك، فالعنوان الرئيس يتعلق دلالياً مع عناوين محددة لكنه يراوغ مع عناوين أخرى وهو ما يجعلها ضبابية غير واضحة، وإذا كان تلاحم العنوان الرئيس مع العنوان الجزئي (الثانوي) - في الغالب - يشير إلى انفتاح الدلالة واختراق المجهول في النص ويحوّله من نص مجهول إلى نص معلوم.⁽²⁾

إلا أنه في هذه المجموعة يحاول أن يشاكس المعنى ويوتر قراءة المتلقي بضبابيته التي تستدعي ربط النص بنصه الموازي وكشف المعنى. وحتى نتمكن من مقارنة المخطط المعماري للجهاز العنوي لمجموعة النوافذ الموجعة لابد من الوقوف بداية عند العنوان الرئيس وما تحيل إليه دلالاته المعجمية وحركيته التركيبية؛ فالنوافذ جمع مؤنث سالم لاسم الفاعل نافذة، فنقول نافذات أو نوافذ والأمر النافذ هو

(1) - خالد حسن حسين: في نظرية العنوان، دط، التكوين للتأليف والنشر، دمشق، 2007، ص 35.

(2) - محمد صابر عبيد، سوسن سليمان: جماليات التشكيل الروائي، دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبيل سليمان، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012، ص28.

المنجز منه والمطاع على وجه نهائي وقاطع، ونقول نفذ إلى الشيء إذا وصل إليه وبلغه⁽¹⁾ لقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.⁽²⁾

فالتوافذ في أغلب المعاني تحيل إلى المسالك والمخارج التي تؤمن بلوغ الهدف والاتصال بموضوع الرغبة وما دونها، أما الوجد فهو قرين الألم وينصرف معناه إلى الحزن والمشقة واليأس والمعاناة بشقيها الجسدي والنفسي، وليس غريبا أن يكون الدرب موجعا فكل كائن مهما بلغت قوته لا بد أن يكابد في حياته ويذوق مرارة تجربته مهما كانت ناجحة، وهذا هو حجر الزاوية الذي ركنت إليه المبدعة في تسمية مولودها الأدبي البكر يجعله منفثا على دلالات شتى تأبى الانغلاق في قراءة واحدة.

تنقلنا النوافذ الموجهة لفاكية صباحي إلى عالم الإنسان الواقعي بكل زخمه وأطيافه الاجتماعية وتسرد عبر حكاياه آلام الناس وخفائهم وليس سهلا أن تنفذ إلى جراح الآخرين وتكشف عمق الوجد المسكوت عنه أخلاقيا وإنسانيا، فالعنوان المشكل يحتكم إلى جدلية المفارقة الساخرة ويكشف من خلال بنيته الشعرية ذلك التناقض الذي تبنته القوانين الاجتماعية الجائرة في المجتمع العربي ضد المرأة المثقف والمحتاج والمغترب... وغيرهم، لأن الأصل في المنفذ السلامة والراحة النفسية وليس التعب والمشقة والألم، أي بمعنى الهروب من المؤلم إلى الأشد إبلاما، فلغة العنوان جاءت مرتبة وفق طرائق ترتيب أنماط كثيرة من الشعر المعاصر من حيث التفكك الظاهر والانتقال الوثاب من حالة إلى أخرى دون وجود روابط منطقية أو سببية.⁽³⁾

وهذه سمة غالبية لدى جيل الأدباء الذين درجوا كتابة الشعر في مستهل حياتهم الإبداعية مما يحول دون الفكك من سلطة الشعر كليا ويضفي على العمل القصصي مسحة فنية خاصة.

ولأن العنوان لا تنتهي مهمته بالإنفاذ إلى قلب النص واجتياز أسواره وحسب بل تتعداه إلى كل ما يتعلق بالنص وينتشر في عمقه بداية ووسطا ونهاية⁽⁴⁾

فقد كانت العناوين الفرعية (الجزئية) عاملا مساهما في اختزال تلك المضامين وتأكيدا، ويمكننا رصد سمة عامة لواقع تلك العناوين من خلال مسمياتها ومركباتها اللفظية، إذ تنقسم إلى شطرين؛ الأول منها يحاكي العنوان دلاليا في معنى الألم والوجد والآخر يتشاكل معه ويمانع في كشف دلالة الألم لفظا صريحا أو بما معناه، فالعناوين (الرصيف الخائن، تكريم أم ترميم، وداع، وتعب أعاصير الندم، الأعمى، هل نحن أحياء فعلا، واغترب الضياء، انفلونزا الطيور) تحتزل معاني الألم وتبوح بالوجد، أما العناوين (النادل، خارطة الوطن، الحوت، الموظف، العصفور، المطرقة، المسحوق الرمادي) فهي عناوين صامتة في علاقتها بقيمة الألم ولا تفصح إلا عن مسميات متنوعة تحتل تفسيرات كثيرة، لا بد من إسقاطها دلاليا على مضمون النص وإعادة ربط السابق منها باللاحق ليكتمل المعنى، فالعنوان مهما تظاهر بالعموية والإخبار المباشر يبقى ممانعا فهو يخبر بشيء ويبقى محدود الإخبار في الوقت نفسه.⁽⁵⁾

ففي قصة الأعمى مثلا نقرأ الوجد تلقائيا من العنوان الذي ينقل القارئ إلى حياة العميان وآلامهم النفسية الرهيبة جراء فقدان

(1) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008 ص 2249-2252.

(2) سورة الرحمن، الآية 33.

(3) صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2003، ص 224.

(4) خالد حسن حسين: المرجع السابق، ص 105.

(5) رشيد يحيوي: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، ط1، إفريقيا للنشر، الدار البيضاء، ص 113.

البصر من جهة ونظرة المجتمع القاسية إليهم من جهة أخرى، وكيف يتكيفون أو لا يتكيفون مع واقعهم الأليم، أما في قصة "المسحوق الرمادي" فالعنوان لا يحيلنا إلى شيء مؤلم مباشرة وإنما يتخفى وراء عتبة اللون، فلا نكاد نعر على معنى صريح أو فكرة محددة مما يفرض على القارئ ولوج عالم النص والوقوف على تفصيلاته إن هو أراد الظفر بالمعنى الكلي للنص، إذ تطرح الكاتبة فكرة مواجهة الذات للواقع وعدم التملص منه تحت أي ضغط، وترمز لذلك بالمسحوق الرمادي الذي تتخذه الذات الفاعلة قناعاً لتضفر بحياة مستقرة كنوع من الهروب الاجتماعي لكن الكاتبة تواجه ذلك بالمرآة الكاشفة لإبراز تجاعيدها وتقبل حقيقتها، وذلك هو السبيل الكفيل بتخليصها من آلامها لأمها وجروحها المحفورة في أحاديث الزمن.

لقد تشكلت عتبة العنوان في قصص نوافذ موجعة عبر رؤية واقعية عميقة للراهن الإنساني الغارق في ماديته وهذا لا يخرج عن نطاق تشريح الواقع وبلورة رؤية جديدة تفضح المسكوت والمغيب بهدف التوعية والتغيير إلى الأفضل، كما إن مسحة الألم والوجع التي أظرت الجهاز العنائني للمجموعة أسهمت في بلورة اللغة الشعرية التي تحكمت في لغة القصص عنوانياً.

2-2 جسد المحكي ومعمارية الخطاب: (سيرة الذات والمكان)

تراهن القاصة فاكية صباحي على الغوص في محكيات الإنسان المهمش وهي تسبر أغوار تاريخ إخفاقاته اليومية عبر نوافذها الموجعة فتحرص أن تكون قريبة من شخصيات ذلك العالم بالمعنى الإنساني وليس بالمفهوم الذي تجسده الترهينات السردية الخطابية فقط، وهذا ما يشد القارئ إلى عالمها القصصي لأنه يطلعنا على الجوهر الإنساني الذي هو لبنة جوهرية في أي عمل إبداعي فني حيث تنتقي الكاتبة عناصر عالمها الفني من صميم الفضاء القريب فتشد على ما تستدعيه الذاكرة أو ما يمليه الواقع، فلا تبحث عن أماكن أسطورية وشخصيات وهمية خارقة كي تقدم المعنى وهذا ما يبهز القارئ بعالم فضاءاتها وبناء محكيها.

ففي قصة "تكريم أم ترميم" وظفت القاصة فضاء التلفزيون وجعلته مرجعاً أساسياً للمحكي فضلاً عن كونه مجالاً رحباً للروح الأليم لشخصية الأديب التي تمثل دور المثقفين المهمشين في أوطانهم، ليحسد هذا الفضاء الثقافي بملاحمة المساواة الانتماء الهوياتي للمبدع الذي يعشقه حتى النخاع برغم جراحه "كرم أحد الأدباء الأجلاء بعد أن بلغ من العمر عتياً وعندما بدأت إحدى المديعات محاورته قال هذه العبارة مصحوبة بدمعة تتلأأ بين جفونه وهي تأتي النزول اعتزازاً وأنفة.. (ليتكم كرمتموني قبل سنتين على الأقل حتى أستطيع سماع ما تقولون ، فكانت هذه الكلمات الموجعة أشد وقعاً من السيف على قلوب كل الأحياء الذين رأوا قابل أيامهم في وجه ذلك الشيخ الجليل".⁽¹⁾

إن شخصية الأديب الموهوب التي وظفتها القاصة في محكيها القصير تتمتع بحميمية علاقتها بها في ازدواجية جميلة بين وجع الذات وأوجاع الآخر، فقد وجدت نسغ نصها في استدعاء طقوس الحياة التي ترافقها يومياً، سواء ما تستدعيه من خلال الذاكرة أو ما يمليه الواقع عليها أو ما يضغط به المجتمع عليها من أسئلة وقضايا، وهو ما يجعلنا ندرك أن الكاتبة تحكي بوجدانها وذاتها وشعورها ولا تصطنع ما تكتب، غير أن صنعتها تتجلى في كيفية تحويل ما تمتلكه الذات إلى محكي إنساني يجد فيه المتلقي تمثيلاً للأنا والآخر.⁽²⁾

(1) - نوافذ موجعة، ص 17.

(2) - إبراهيم الحجري: القصة العربية الجديدة (مقاربة تحليلية)، ط 1، دمشق، سوريا، 2013، ص 259.

وتثير الكاتبة قضية هامة في قصة "المسحوق الرمادي" فتجعل من المرأة فضاء دلاليًا للحكي تعكس من خلاله الوجه الحقيقي لواقع حياتنا المسربل بالخداع والنفاق في أبشع صوره وأشكاله "كم أُرهبني منظري وأنا أحمل المرأة لأول مرة ولا أراي فيها... بل أرى شرائح ننته مستوردة على مقاسي.. لتسرقني من ذاتي وتسلبني صفاء وجهي الذي رضيت بتجاعيده لأنها تحمل مواصفات أناي.. فكم هو موجه أن تصادر فينا الحقيقة لنعيش أكبر كذبة قد يرسمها المسرح على وجوهنا.⁽¹⁾

وهنا ندخل في مسألة معقدة" وهي حقيقة الصورة المعكوسة عن الشيء الواقعي ومدى تحمل هذه الصورة الفكرية الفلسفية النسبية الخاصة بها.⁽²⁾

إذ نحس ونحن نقرأ هذه القصة حاجتنا إلى القيم النبيلة والأخلاق النقية للتعامل مع واقع هش أفسدت المصالح كل قيم الجمال فيه ورفعت راية القبح والأنانية في جل الزوايا حتى غدت الوجوه كلها أقنعة باردة لا حياة فيها ولا أمان لها، فالذات الفاعلة في هذه القصة أُمّحت في موضوع الرغبة الأساسي وامتهنت لغة المرايا التي فرضت عليها اجتماعيا لتعيش واقعا مختلفا عن واقعها، لكنها لم تنجح أمام قوة الحقيقة التي عزّت الخفايا وكشفت الخداع" وعندها لا نستطيع أن نخفي بشاعتنا بمسحوقنا الرمادي.. لأنّ ربح الحقيقة المرّة أسرع بكثير من حركات أصابعنا التي أثقلها التدليك اليومي بمساحات وجوهنا الحدياء.. وأرهقتها مغالقة العلب المظلمة لتقع بعيدا تنتظر الدور لكذبة جديدة ولعبة قذرة على خشبة المسرح لتعيد تشكيل الذات وفقا لمتطلبات الذوات.⁽³⁾

وما يمكن ملاحظته عموما في علاقة الذات والمكان عند القاصة فاكية صباحي هو كثافة الصور التي تصنع شعرية اللغة القصصية وبعدها الفلسفي العميق الذي يتجاوز الذات والواقع لتتحول إلى رؤية فنية استشرافية تنتظر نبوءتها، فالساردة لم يكن همها الإخبار ووصف المكان والذات بقدر الاهتمام بالإيحاء والتلميح والترميز.

2-3 الرحيل من القصة إلى الشعر:

تتسم لغة السرد القصصي عموما بالوضوح والتقرير وتنزع إلى تحديد الأشياء وتسميتها بمسمياتها، فهي ذات وظيفة إخبارية هدفها الإفهام والتبليغ، في حين تختلف عنها لغة الشعر بكونها لغة الإشارة والرمز وتعتمد على الصور البلاغية والأساليب المجازية وفق ما يتلاءم واللغة الشعرية التي تمتن الخيال والإيحاء والتأثير " وهناك فوارق كثيرة بين اللغة الشعرية واللغة النثرية القصصية، فاللغة ليست غاية كاتب القصة ولكنها غاية الشاعر والوسيط الذي يعمل به، أما القاص فإنّ اللغة عنده لا بد أن تكون وظيفية قادرة على التوصيل، لأنه ينبغي على الكلمات في النثر أن تعبر عن المعنى المطلوب، أما إذا جذبت الكلمات الاهتمام إلى نفسها فان ذلك أمر ممجوج وما هو ممجوج في لغة النثر تحاول لغة الشعر تحقيقه طوال الوقت.⁽⁴⁾

والتأمل للغة الكاتبة فاكية صباحي يدرك أنها تحتفي بلغتها كثيرا بانتقاء العبارات واللعب بها في كثير من المقاطع القصصية، وهذا ليس غريبا على الكاتبة فقد استهلت حياتها الإبداعية شعرا قبل أن تخرج باكورتها الأولى في القصة القصيرة، ولذلك نراها تزوج بين الشعر والنثر في مجموعتها القصصية وإن غلب النفس الشعري على النفس السردية في

(1) - نوافذ موجهة، ص 22.

(2) - ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، ط2، دار نينوى، سورية، دمشق، 2010، ص189.

(3) - نوافذ موجهة، ص 22.

(4) - زهرة كمون: الشعري في روايات أحلام مستغانمي، ط1، المطبعة المغاربية، صفاقس، تونس، 2007، ص 101، 102.

أغلب الأحيان، ففي قصة "تكريم أم ترميم" تتقمص الكاتبة دور البطل في القصة (الأديب) وتحكي وجع الذات المثقفة ألما ينبجس من الأعماق فتندوب ملامحها في تلك الذات المهمشة ويتحول وجعها إلى مقاطع شعرية تبوح بما لا تستطيع لغة السرد الوصول إليه:

أنزلوني..."

فجوادي عاف درب الأمنيات

أنزلوني...

ليس يحي الغيث أوراق خريف ذبلت

هاهنا بين الرفات

يا صباحا كم سقاني قطره

لا تنر قلبي بحلم عابر ليس يؤوب

فالروابي أقفرت..

لم يعد لي غير دمع

مبحر فوق مناديل المشيب

أنزلوني..

يا رفاق الدرب أعياني النداء

كم أخاف النور ثوبا

كم أخاف اليوم أحضان اللقاء

راحل والذكر يذروني رمادا

بين أنفاس البقاء

لم أعد أهوى الطلال

لم أعد أحس حتى الارتواء

فاتركوا الروح تهيم بسناها

بسّم القلب المسير

تعب.. لا ترهقوني بالهدايا..

فلماذا يوضع الورد الجميل

دائما فوق القبور؟؟⁽¹⁾

وما يمكن ملاحظته في هذا المقطع الشعري المبتوث داخل قصة "تكريم أم ترميم" هو ترجمة الجزء النثري شعرا، فكأنما كانت المقاطع السردية تحتاج إلى نفس أعمق حتى يكتمل الحكى وتحصل الدلالة الدقيقة التي ترومها الكاتبة، فلم تجد أحسن من لغة الشعر

⁽¹⁾ - نوافذ موجهة، ص 19، 20.

المكتنفة لنقل صورة الألم التي رسمت ملامح الذات الفاعلة في الحكيم (الأديب الشيخ)، فالصورة تكون كثيفة في الشعر غير الموزون وأعنف منها في الشعر العروضي... وفي هذه الحالة فإن القصة الشعرية ينبغي عليها أن تكتظ بالصور كي تظل شعرية.⁽¹⁾

بالإضافة إلى حضور ظاهرة التكرار التي يردد فيها الأديب الشيخ فعل الأمر: أنزلوني

أنزلوني..

فجوادي عاف درب الأمنيات

أنزلوني..

أنزلوني..

يا رفاق الدرب أعياني النداء

وهذا ما جعل الخطاب متلونا بألوان من النغم والموسيقى الحزينة وبذلك يعكس الإيقاع حالة الوجد التي يعيشها البطل فهو يكرم بعد فوات الأوان وتكرر الظاهرة نفسها في قصة " اغترب الضياء " وقصة " العصفور " حيث طعمت النص السردى بمقاطع شعرية تعزف على وتر الحزن والألم أنشودة تلملم بها جراحها فتكرر باستمرار في فضاء إنساني غلب عليه اليأس والقنوط.

أما في قصة " خارطة الوطن " فقد ابتدأت نصها بفتحة نصية تؤثثها على تأمل فلسفي وفني عميق يستمر حتى نهاية القصة، لكن ما يميز لغة هذه القصة من تكرار لعبارات متماثلة ومتباينة تخضع لأنساق كتابية متناسبة الشكل تجعلها ذات منحى شعري أكثر مما تبدو عليه السردية فتقول القاصة:

"عندما يلبسني العبور جرحا نازفا وألبس الهدير الهارب من بحار العبور، يستوقفني الموج المنسي على ضفاف القبور... يستوقفني أنين الزنبق الذابل، وبقايا الربيع الذي خبأته أكمامي..."

كم هي خائنة لحظة الهروب... عندما نلبس الليل ثوبا وتفضحنا قناديل العيون المثقلة بالدموع ونحن نرى وجع الوطن كنانة...⁽²⁾

فالنفس الشعري طافح بقوة في هذا المقطع القصصي وهو يعكس هيمنة التجربة الشعرية على قلم القاصة حيث لا تستطيع منه فككا فتروح وتغتدي لتغذي المخيلة السردية بلحظات شعرية آسرة، " إن الإيقاع ليس بمقصود على التعاود المنتظم لوحداث سمعية، وإنما يتسع مجاله ليشمل كل ما تعتدل سيرته على التكرار والتداول الذي صورته تنوع أساسي لأشياء متماثلة ومتباينة ومن هنا يسوّغ الحديث عن إيقاع مرئي صورته ما نراه لأسطر شعرية متناسبة الطول وانتظام لأنساق كتابية متناسقة الشكل وكذلك الأمر بالنسبة إلى صور تعاود البياض.⁽³⁾

لقد أوغلت القاصة في نبش الذاكرة المشبعة بالوجد وجاءت كتابتها حافلة بقوة المشاعر وتكدّس الصور الشعرية، ومع إصرارها على الوفاء للحكي وحفاظها على ميكانزمات القص المتعارف عليه نقديا إلا أنها كانت محاطة بجمالية الشعر الذي تحكم في الرؤية الفنية للمجموعة القصصية.

(1) - زهرة كمن: الشعري في روايات أحلام مستغانمي، ص 108.

(2) - نوافذ موجعة، ص 37.

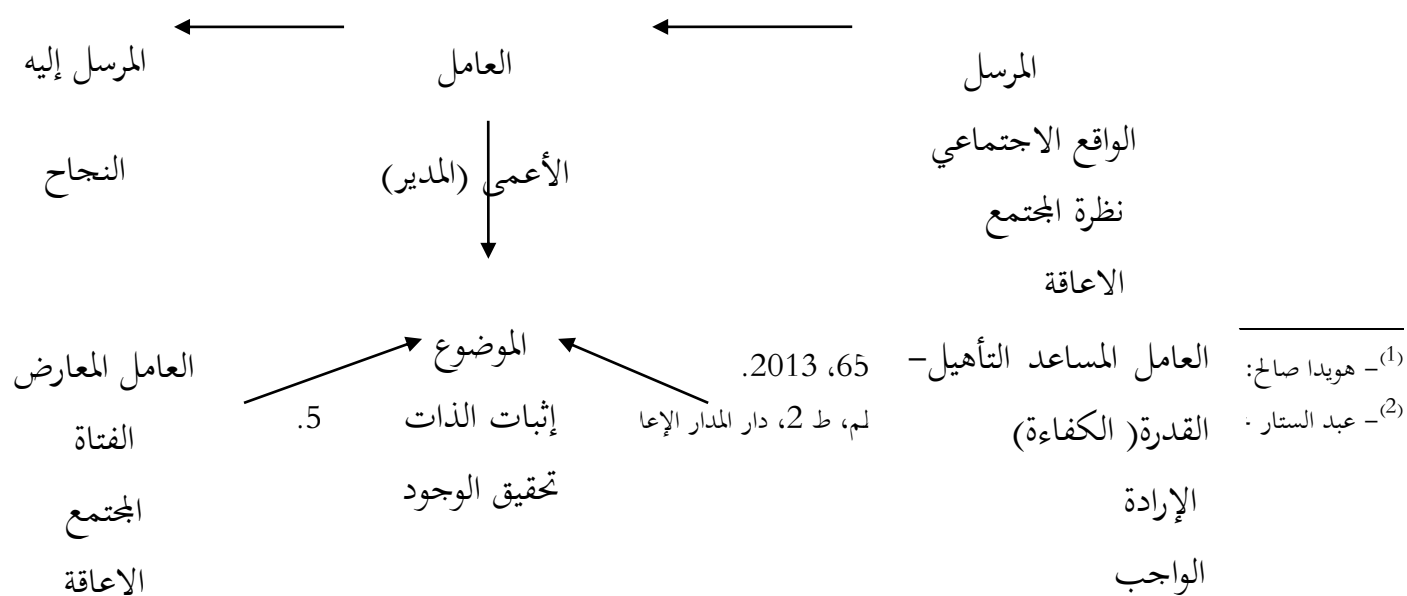
(3) - محمد الخبو: مدخل إلى الشعر العربي الحديث، أنشودة المطر لبدر شاكر السياب أنموذجا، ط1، الجنوب للنشر، ص 43.

3/ صورة المثقف وقضية الإنسان والهوية المهمشة:

يعبر الخطاب السردى بصورة أو بأخرى عن صورة المثقف وتمثاله في واقعه الإنساني، والمبدع القصاص بَعْدَه مثقفا غالبا ما يشكل تلك الصورة في أعماله الإبداعية وفق منظوره الخاص الذي يرى من خلاله حقيقة المثقف واهتماماته في الواقع، فالمثقف في المخيلة الإبداعية يحظر بصورتين متشاكلتين فهو إما مساند وداعم لتوجهات سياستها والدفاع عنها، وإما رافض لكل ما يصدر عنها وهذه هي الصورة الغالبة في الأعمال الإبداعية العربية التي يشتكي مثقفوها من التهميش والعزلة والاعترا ب⁽¹⁾، وإبعادهم عن صنع القرار السياسي والاجتماعي والثقافي مهما كانت مستوياتهم وخبراتهم الفكرية والثقافية، وقد تصل حدّ الإذلال والتعذيب في بعض المجتمعات التي ترفض الحركات التنويرية لأنها تمس بسيادتها واستمرارية حكمها وهو ما أسهم في سقوطها وتراجع مددها الثقافي والاجتماعي بسبب تهميش كوادر الفكر والثقافة، لذلك تقف القاصة فاكية صباحي عند هذه التيمة كثيرا وتعرض نماذج ثقافية مكلمة تجعل تبشير الفناء والخراب هي المسيطرة على خطابها القصصي الواقعي لأن عزل المثقف وإقحامه في متاهات العوز والقهر هي أبرز علامات انعدام القيم وغياب عناصر الهوية الثقافية.

3-1 نحو اكتشاف الذات:

تشكل هوية الإنسان في ظروف معقدة ومن خلالها نتعرف على أنفسنا وعلى الآخرين " فهي التي تبلور حسن الجماعة بنفسها كذلك، كما أنها تسهم بتشكيل السلوك ودوافعه وكل ثقافة تحدد ماذا تنقل وكيف تنقل ولمن تنقل، من أجل أن تعزز الإيمان بجذور مشتركة ومصير مشترك أي الوعي بالهوية وتكريسه"⁽²⁾ وتجسد قصة الأعمى ضمن المجموعة القصصية المدروسة فكرة الهوية بطريقة سردية فادحة على صعيد الفكرة والموضوع والرؤية، فتبرز فكرة الأخلاق بعدها مركزا أساسيا ينطوي على شبكة هائلة من الدلالات والقيم والمعاني لها علاقة بالثقافة والحضارة والإنسان، حيث توفرت لدى البطل مجموعة من القيم التي جعلته أحق بالتحكم في المسار السردى للقصة، وتمثل هذه القيم في الإرادة، التأهيل، القدرة، الواجب، ويمكن تمثيل ذلك على الشكل الآتي:



(1) - هويدا صالح:

(2) - عبد الستار .

وأمام قوة العزيمة والإرادة وتوفر جميع القيم الإيجابية لدى الذات الفاعلة يتراجع شبح الصعوبات والعوائق رغم مرارة وألم الواقع والنظرة السلبية للكيف في المجتمع المتخلف، يتصل العامل (الذات) بموضوعه (رئاسة الإدارة) مع الحصول على الاحترام وتقدير الموظفين ومن ثم تحقيق الذات وفرض الوجود والاعتبار بسبب سخرية الفتاة من معاناته في غياب الوازع الديني والأخلاقي الذي طبع شخصيتها بالغرور والتكبر.

إنّ وجود الأعمى في المكان نفسه الذي هو موضوع الرغبة لدى الفتاة كان صدمة غير متوقعة زادها اندهاشا وتأكيذا لا نقاش فيه على فقدان منصب الشغل الذي رغبت في الفوز به، وينقل السارد وجع الأعمى أمام كبرياء ووقاحة الفتاة بمفارقة ساخرة تبرز الجانب الخفي للأخلاق الاجتماعية المتراجعة في المجتمع الجزائري بدافع المصلحة وفكرة الغاية تبرر الوسيلة" فاستنفرت قائلة: ماذا يفعل هذا الأعمى

هنا..؟؟ السكرتيرة: حسبك يا آنسة إنّه سيادة المدير... لم تجد ما يمكن أن تضيفه... فنهضت بسرعة لتصطدم به دون أن تدري ثم قالت: آسفة يا سيادة المدير...

ورغم كونه قد عرفها من رائحة عطرها ووقاحة صوتها.. لم يرد عليها سوى بحدوء الطود الأشم... بل سيادة الأعمى يا آنسة.. لقد أدركت تماما بأنها أتقنت جل اللغات إلا لغة الضير لأنها أمرّ من أن يتذوقها جحود البصير.⁽¹⁾

لقد ركزت القاصة في قصة الأعمى على تيمة الأخلاق وجعلتها ركنا مهما في خطابها الفني الذي يراهن على إنسانية الإنسان أولا واحترام العادات والتقاليد الاجتماعية والدينية ثانيا، كما أنّ وصول السرد إلى تلك النهاية المشرقة قد كشفت للذات المتعدية على الآخر (الأعمى) حقيقتها وجعلتها نموذجا للمرأة المثقفة السيئة التي تفتقد إلى الأخلاق والكماسة مقابل الآخر المثقف الناجح كفاءة وخلقا، فالهوية طرق تفهم من خلالها علاقة الناس فيما بينهم ويفهم الناس أنفسهم مع تعدد الهويات التي ينتمون إليها يقود الاتحاد فيما بينها إلى التعايش والسلام ويؤدي التخلي عنها إلى التقاطع والصراع والانفصال.⁽²⁾

3-2 التفتيش في القاع عن حكايات الإنسان:

لا تتوقف الكاتبة فاكية صباحي عن التقاط صور المجتمع وهي تستحضر آلام المهمشين عبر تخوم خرائط المعاناة التي تجذبهم في أغلب الأحوال إلى قاع الحياة حيث تصبح كل لذة معاشة جرعة ألم مضاعفة تقتلهم أكثر مما يحييهم "فالإنسان المقهور الذي يعيش حكايته بعيدا عن الأضواء قانعا بما تسبغه عليه الحياة من لذائذ مؤلمة، في القاع تصبح كل لذة معاشة له ارتعاشة ألم، حتى لتبدو لنا

(1) - نوافذ موجعة، ص 40، 41

(2) - عبد الستار جبر: الهوية والذاكرة الجمعية، ص 54.

الحكاية بعيدة عنا تجري أطوارها في قارة بالثلث الخالي⁽¹⁾، غير ان الكاتبة على طول مساحة نصها السردى تختار شخصياتها بدقة اختيارها للغة التي جنحت إلى الحكى الشعري البعيد عن الإسفاف واللغة الدارجة، إنه صوت المثقف الصارخ في أطوار كل قصة ولا أحد غيره استطاع أن يتربع على عرش الحكى في قصص فاكية صباحي، فقصة الأعمى أو قصة تكريم أم ترميم أو اغتراب الضياء أو وداع كلها أسندت دور البطولة لفواعل ذات وزن ثقافي وفكري مهم، يغوص كل منها في عالمها الخاص ويوح بوجعه وإخفاقاته اليومية وفق منظوره وخبراته المتراكمة، ففي قصة "وداع" تسافر القاصة بالقارئ في أعماق آهات أب حزين يشتكي مرارة الحياة الهامشية التي رمت بابنه البكر في أرض ما وراء البحار بعدما ضاقت به السبل في تحصيل لقمة الحياة والنفاد من الفقر ومشتقاته "كم هي موجعة لحظة الوداع... وأنا أراك تنساب أمامي كنهر يتفرق وقد رमित بحقائب السفر على ضفافك المخضرة حتى لا تعاتبك ضفائر السنابل وزمن الرجوع... فكم هو موجه أن تحملني خطاي إليك... لألقاك ذكرى وبعض صور تؤرقني وتقرني سلامتك خلف الضباب... لألبسه ثوبا يقيني حرّ المشيب والحنين."⁽²⁾

لقد عرضت الكاتبة في هذه القصة واحدا من النماذج المهمشة التي أرغمتها الحياة القاسية في بلدها على الهجرة بعدما يئست من قدرتها على التكيف مع حاضرها المؤلم، فالظروف المحيطة بها هي المسؤولة على اغترابها زمانيا ومكانيا لأن أكبر أسباب تنامي الشعور باغتراب الإنسان هو شعوره بغرته في عصره ومجتمعه، وقد عبّر أبو حيان التوحيدي عن ذلك بقوله: "هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه ولم يتزعزع عن مهب أنفاسه، وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه"⁽³⁾

وعلى الرغم من تلك الغربة التي يعاني منها كثير من الشباب بسبب البطالة والفقر وتغير الأوضاع الاجتماعية إلا أنّ بعدهم عن أهلهم يكون أشد إيلاما لكلا الطرفين وتصبح العودة إلى الوطن والأهل أعظم أمنيات آبائهم وأمهاتهم في ظل الحاجة إليهم وهم في آخر العمر وهذا أقسى ما يمكن أن يعانيه الآباء في هذه المرحلة من حياتهم.

وفي مقابل ذلك يتجرع من أثر البقاء في الوطن ألم البطالة وضنك العيش، فكثير من خريجي الجامعات المتفوقين يصطدمون بشبح البطالة فيرضى بعضهم ويقبل بأي وظيفة تسد رمقه وإن كانت غير مناسبة، وقد عبرت القاصة بحرقه عن أولئك الشباب المظلومين اجتماعيا بفقدانهم أبسط حقوقهم في قصة "النادل" التي تختصر معاناة المثقف الحقيقي بالموازاة مع حصول من هم دونهم علما وثقافة على مناصب مرموقة بوسائل ملتوية يفضحها مستواهم الثقافي الهش أمام أبسط المسائل والنقاشات.

وتنقل الكاتبة هذه المفارقة الساخرة على لسان نادل المقهى الشاب وهو يرد على أسئلة الأستاذ الجامعي الذي عجز عن إيجاد مرادف كلمة بسيطة لحل لغز الكلمات المتقاطعة لتكشف الفرق بين الثقافة والمنصب "فلو لم أكن هنا لما وجدت كلمتك الضالة ببحر الكلمات المتقاطعة الذي تغرق فيه بالساعات لأخرجك منه وأنت تحتضر..."

ما الفرق بيني وبينك إذا...؟

ألم تجلسك جرة قلم هناك؟

(1) - إبراهيم الحجري، القصة العربية الجديدة، ص 218.

(2) - نوافذ موجعة، ص 28.

(3) - أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، تحقيق عبد الرحمن بدوي، د ط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996، ص 115.

لتوقفني صفعاً لم هنا...؟

صمت لحظة ثم قال:

ما رأيك لو ساعدتك بثقافة الكؤوس لتساعدني بتحضير الدروس؟

تمت كالمعتاد وأنا أذكر مجدداً بأنني موظف كأني مثقف ثم تأبطت أوراق المبعثرة دائماً.

وحمدت الله على كوني أستاذاً في الكلمات المتقاطعة ولست أستاذاً بالجامعة.⁽¹⁾

إنّ قوة المحكي في هذه القصة وباقي قصص المجموعة تكمن في قدرة القاصة على تحويل العوالم المألوفة إلى محكيات مغرقة في الغرابة تتخطى العتبات لبلوغ حقيقة البؤس الاجتماعي والنفسي والاقتصادي والظلم المعاش نفسياً، وقد تشبثت الكاتبة بهذا النوع من المحكيات لنبد الواقع والسخرية منه وانتقاد جل ما يعج فيه من قيم فاسدة.⁽²⁾

وهناك لذة أخرى يستشعرها القارئ في النص القصصي الصباحي وهي إشراكه في عوالم محكيه والتفاعل مع شخصياته في العالم السفلي، فيكشف ظلام حياتهم البائسة وهم يهرولون دون ألم وشكوى فهم يبنون سعادتهم من تعاسة يومهم ولا ينظرون إلى القيم لأنها ليست لهم، وهذا ما نقرؤه في قصة "الموظف" التي تغوص في يوميات موظف بسيط نال ترقيته إلى رتبة مدير في أيامه الوظيفية الأخيرة ليتحول حلمه في الراحة إلى قضية أكبر من خياله البسيط، أين وجد نفسه بين جدران السجن ثمنا لحلم عابر راوده وزاد شؤمه ثقته المفرطة في سكرتيرته الخاصة، "وما كاد يتدارك وقع الحادثة حتى أقلته سيارة الشرطة لقسم التحقيق وهو مقيد اليدين وأثناء طريقه فلتت منه نظرة غائمة للرصيف المجاور ليلمحها هناك تحمل الحقبة المسروقة بيد-على الملاء- وبأخرى تأبطت ذراع سيادة (...). وهي تبثر الخطى لتتسج تفاصيل صباحات جديدة... بصفات أكيدة."⁽³⁾

لقد تعمدت القاصة إشراك متلقيها للدخول إلى عالمها القصصي وسط جلبة الأحداث المؤلمة لاستشعار غياب القيم الاجتماعية التي يحيا فيها في ذلك العالم والتعاطف مع شخصياته الورقية وكأنها شاخصة أمامه تنبئه بمصيره المحتوم الذي يحاكي مصائر تلك الشخصيات الورقية التي تفاعل معها.

إنّ هذه القصة تفتح جراح الألم على مصراعيه وتتكئ مثل أي تراجيديا بشرية على نبرة بليغة من الحزن والأسى منبعها الأصلي هو ذلك الإحساس الرائع بالحياة وهي تتدفق ثم تكبر لتصبح في نهاية المطاف بين أيد قاسية.⁽⁴⁾

وهذه العوالم التي يجتاحها المحكي ويركز عليها ليست بغريبة على الكاتبة فاكية صباحي التي عودتنا على مطاردة المعاني في جل مكان من حياة الإنسان.

3-3 حرائق الأنثى وصدمة الواقع:

تحفر القصة القصيرة بمعولها في أوجاع الشرخ في العلاقات الانسانية وتغوص في تربة المجتمع العربي لتكشف عن تلاشي منظومة القيم الإنسانية بدءاً بالعلاقات الأسرية داخل البيوت مروراً فيما يعتمل في الشارع من تعديات وانتهاكات تزج بالمقدس في دائرة

(1) - نوافذ موجعة، ص 24، 25.

(2) - إبراهيم الحجري: القصة العربية الجديدة، ص 209، 210.

(3) - نوافذ موجعة، ص 50، 51.

(4) - إبراهيم الحجري: القصة العربية الجديدة، ص 213.

(1) المدنس.

وعادة ما يبدأ الشرح بالمرأة عندما تحمّل مالا طاقة لها به باسم الأنوثة التي تعكس ضعفها الاجتماعي بعين المجتمع الذكوري وهو ما يجعلها تسلك سلوكا ملتويا تعوّض ضعفها نظرا لتلك الرؤية الفوقية التي تعامل بها الأنثى بخلاف الذكر.⁽²⁾

وضمن هذا الوضع المأساوي المفروض على الأنوثة تحاول الأقلام النسوية ولوج عالمها الإبداعي بما يسمح لها باكتشاف عديد العلامات النسوية التي تتصل بعالم أنوثتها وما يضح به من مشاعر ويزخر به من رغبات تعكس توق الأنثى للتخلص من جل أشكال القهر الذي يمارس عليها.⁽³⁾

وهذا ما يؤكد الناقد محمد برادة في قوله: "لا أستطيع أن أكتب أشياء لا أعيشها، التمايز موجود على مستوى التمييز الوجودي."⁽⁴⁾

وتمثل قضية حديث المرأة عن عاطفة الحب سؤالاً محورياً في المحكي النسوي باعتباره بؤرة المعاناة الأنثوية في المجتمع السلطوي، وقد استطاعت القاصة فاكية صباحي ولوج هذه التيمة الحساسة ورصد مكان النقص فيها في قصة "وتهب أعاصير الندم" التي تركز على نموذج المرأة المدللة المتحررة وكيف تراهن على حلمها رغم جل المؤشرات السلبية التي اعترضتها، فهي قصة واقعية منقولة عن تفاصيل الواقع الجزائري.

نالت بما الكاتبة عدة ألقاب وجوائز محلية ووطنية، وتبرز أحداث الرواية أنثى جديدة خارج النمط المعهود في السرديات العربية، حيث تقف ليلي البنت الوحيدة لوالديها أمام سلطة الأب مقاومة لأفكاره ورفضه فكرة زواجها بمن اختارته شريكا لها" وجاء يوم الرحيل لتحضير العروس نفسها للسفر دون مبالاة بجزن والديها الذين رفضا حتى سماع وداعها، فانزويلا في ركن من أركان البيت، وقبل أن تخرج قدمت لها أمها علبة صغيرة وأخبرتها بأنها آخر هدية من أبيها الذي يرجوها ألا تفتحها إلا عندما تصير أما عليها تدرك ما لم تستطع إدراكه الآن.⁽⁵⁾

لقد بني نص "وتهب أعاصير الندم" على شخصية "ليلى" فكانت بؤرة الحكى التي تهيم على وقائع الأحداث وتنظيم الوحدات السردية، فكل الخيوط السردية تتجمع عند هذه الشخصية المحورية التي وردت في القصة غير متجردة من الاسم والهوية مقارنة ببقية الشخصيات الفاعلة في الحكى التي وظفت دون أسماء لتكون مجرد مخلوقات فنية وأدوات للعمل السردى لا شخصيات تاريخية عاشت في الواقع الجغرافي⁽⁶⁾، على الرغم من واقعية الأحداث وتاريخية القصة التي عبرت عنها الكاتبة فاكية صباحي.

إنّ تركيز الكاتبة على تيمة الحب الأنثوي وانتكاساته المفاجئة للذات الفاعلة كان وقود القصة التي ركزت على الوجدع الأنثوي وإغراق الذات وسعيها وراء تلك العاطفة وحياتها النفسية المتكررة التي اختزلت تعب سنوات لثموت في محراب الأنوثة، وتراهن الكاتبة في ذلك على البعد التربوي الذي سيطر على الحكى من خلال اعتراف الأب بفشله في تربية ابنته ليلي وتوجيهها المسار الصحيح

(1) - عبد الخالق عمراوي: وميض الحكى (عوالم التخيل في القصة المغربية المعاصرة)، ط1، دار التوحيد، الرباط، المغرب، 2015، ص 42.

(2) - صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، 2003، ص 40.

(3) - بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغربية، ط1، المطبعة المغاربية، تونس، 2003، ص 144.

(4) - بوشوشة بن جمعة: التجريب وارتحالات السرد المغاربي، ط1، المغاربية للنشر، تونس، 2013، ص 178.

(5) - نوافذ موجعة، ص 35.

(6) - محمد علي الشوابكة: ثنائيات في السرد لدراسات في المبنى الحكائي، ط 1، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2012، ص 239

بعدها استنفذ جل الحيل في إقناعها بالعدول عن قرار زواجها بمن لم يرضه أن يكون شريكها، " فتحت العلبة بيد وجلة... لتجد قصاصة من الورق كتب عليها: (بنيتي الحبيبة إذا أصبحت أمًا في يوم من الأيام أرجو ألا تربى أبناءك كما ربيتك... لأنني ما أعطيتك سوى الفقاعات، وفاقد الشيء لا يعطيه).⁽¹⁾

وضمن هذا العالم الشعوري الأنثوي تتجلى عاطفة الأمومة وهي القوة المتمكنة من المرأة التي تمنحها الكينونة والقدرة على الحياة من خلال بلورة رؤيتها للذات والعالم. فقد أدركت ليلي حجم مأساتها بعد أن جربت عاطفة الأمومة وفتحت رسالة والدها المفجوع وخسرت أملاكها ووالديها وأهلها بسبب عنادها واندفاعها وأنانيتها التي جرعتها المآسي والأحزان بعدما كانت تنعم في أكناف الراحة والدلال.

لكن تبقى السلطة الذكورية مهيمنة على واقع الأنثى وتزيد من خيبات أملها وقهرها ولا تتصالح مع واقعها مهما أقرت بالخطأ، وهذا ما يفاجئنا به الحكيم في آخر فصول القصة حينما تمنع ليلي من حضور جنازة والدها من طرف أحد أقاربها وتأخذ والدتها ابنتها منها بحجة انشغالها عنها وعدم كفاءتها في تربيته ورعايته وهو أسوأ أنواع الظلم الاجتماعي للمرأة حيث تطاردها الخطيئة مدى الحياة وتغلق أبواب الصفح دونها لتعيش آلاما لا تنتهي وعذابا دائما لا ينقضي، وتبقى ملاحظة أخيرة تتصل ببناء هذه الشخصية فهي في الغالب مصممة فنيا.

يجري تحريكها من الخارج، وهي ذات أبعاد ثابتة لم تتشكل داخل النص من خلال مواقف إنسانية تنمو وتندرج شيئا فشيئا، ولعل هذا الثبات يعود أصلا إلى بناء الحكاية بكاملها على تناوب وأحداث متشابهة مكررة.⁽²⁾

تأسيسا على ما سبق نخلص إلى أن القاصة فاكية صباحي قد نجحت في نقل وجع الذات الإنسانية عبر نوافذها الموجهة التي رصدت مكامن الداء وحاولت إيجاد وصفة العلاج المناسب له عبر رؤية فنية واضحة تحركها لغة شعرية نافذة تظهر على سفح قصصها لتكشف زيف العلاقات الاجتماعية التي تسيج هذا العالم الإنساني المتداخل المكون من "عناصر دائرة في رحي تعيد إنتاج القهر والتسلط، عالم القتامة الذي ما إن يعري السرد طبقة منه حتى تنكشف أخرى أشد قتامة"⁽³⁾.

وهي بذلك تهدف إلى الالتفات إلى تلك الطبقة المهمشة من المجتمع، فكتابتها القصصية تؤسس لجمالية الألم في أبعادها الإنسانية المثيرة للتأمل والتساؤل.

(1) نوافذ موجهة، ص 31.

(2) - محمد علي الشوابكة: ثنائيات في السرد، ص 24، 25.

قائمة المصادر والمراجع:

1-المصادر:

- القرآن الكريم برواية ورش.

1. فاكية صباحي: نوافذ موجهة، ط1، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، فرع بسكرة، بسكرة، الجزائر، 2013.

2-المراجع:

2. بوشوشة بن جمعة: التجريب وارتخالات السرد المغاربي، ط1، المغاربية للنشر، تونس، 2013.
3. بوشوشة بن جمعة: الرواية النسائية المغاربية، ط1، المطبعة المغاربية، تونس، 2003.
4. أبو حيان التوحيد: الإشارات الإلهية تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، 1996.
5. أحمد مختار عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2008.
6. خالد حسن حسين: في نظرية العنوان، دط، التكوين للتأليف والنشر، دمشق، 2007.
7. رشيد يحيى: الشعر العربي الحديث (دراسة في المنجز النصي)، ط1، إفريقيا للنشر، الدار البيضاء، إبراهيم الحجري: القصة العربية الجديدة (مقاربة تحليلية)، ط1، دمشق، سوريا، 2013.
8. زهرة كمون: الشعري في روايات أحلام مستغانمي، ط1، المطبعة المغاربية، صفاقس، تونس، 2007.
9. صالح مفقودة: المرأة في الرواية الجزائرية، منشورات جامعة بسكرة، الجزائر، 2003.
10. صلاح صالح: سرديات الرواية العربية المعاصرة، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، 2003.
11. عبد الحق منصف: أبعاد التجربة الصوفية (الحب، الإنصات، الحكاية)، دط، المغرب، 2006.
12. عبد الخالق عمراوي: وميض الحكيم (عوالم التخيل في القصة المغربية المعاصرة)، ط1، دار التوحيد، الرباط، المغرب، 2015.
13. عبد الستار خير: الهوية والذاكرة الجمعية تقدم: نادر كاظم، ط2، دار المدار الإعلامي، لبنان، 2019.
6. محمد الخير: مدخل إلى الشعر العربي الحديث-أنشودة المطر لبدر شاكر السياب أنموذجا-، ط1، الجنوب للنشر.
7. محمد صابر عبيد، سوسن سليمان: جماليات التشكيل الروائي-دراسة في الملحمة الروائية مدارات الشرق لنبييل سليمان، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2012.
8. محمد علي الشوابكة: ثنائيات في السرد دراسات في المبنى الحكائي، ط1، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2012.
16. ابن منظور: لسان العرب، مج1، دار صادر، بيروت.
17. ياسين النصير: الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، ط2، دار نينوى، دمشق، سوريا، 2010.

المجلات:

18. أحمد سيف الدين: ظاهرة الحزن في الشعر العربي الحديث، مجلة جامعة البعث، ع10، مجلد 37، 2005.

19- هويدا صالح: الصورة الروائية للمثقف، مجلة العربي، ع 657، 2013.